محمد الحرز: مرحلة ما بعد رؤية 2030 حدث مزلزل في المجتمع السعودي - لا أعرف الحدود الفاصلة بين الشاعر والناقد

اعتمد الشاعر والناقد السعودي محمد الحرز على ثقافته ورؤيته العميقة في أعماله النقدية، ولم يخفِ انفعالاته عند الكتابة كونه اختار لنفسه أن يكون الشاعر الناقد، عُرف بانشغالاته النقدية في قراءة المشهد الثقافي السعودية، ورصد التحولات التي يمر بها ثقافيا وفكريا وأدبيا، في وقت كان يلاحق فيه الشعر في تفاصيل الحياة وبعد وقفات من التأمل. اختار قصيدة النثر واعتبرها كنزا وحافزا في فهم الحياة. وأصدر العديد من المجموعات الشعرية من بينها "قميص بذكريات معطوبة" و"رجل يشبهني" و"أخف من الريش أعمق من الألم" و"أسمال لا تتذكر دم الغربة" كما أصدر العديد من الكتب النقدية من بينها "الهوية والذاكرة – تعدّد أشكال ومسارات النقد" و"شعرية الكتابة والجسد". كما شارك في العديد من الملتقيات والمهرجانات داخل السعودية وخارجها.

لماذا اخترت الاشتغال على النقد؟

لم يكن اختيارا، كانت اللحظة تتطلب الالتفات إلى الخطاب النقدي بوصفه – كما كنت أنظر إليه في لحظتها قبل عقدين من الزمن – الكاشف عن جماليات النص الحديث وتعدّد أوجه شاعريته، والكاشف عن التطور الكبير الذي وصلت إليه العلوم الإنسانية في مسألة الشعر والشاعرية والنص والعالم. ناهيك أيضا عن مسألة في غاية الأهمية على الأقل بالنسبة إليّ كوني شاعرا لا يملك من أدوات التعبير اللغوية سوى اللغة الأم العربية، وهي ترجمة شعراء العالم الذين عكف على ترجمتهم أغلب شعراء الحداثة المعروفين، وكانت معضلة تلقي الترجمة في حينها تلقي بظلالها على الذائقة التي كانت تواجه صعوبة في تلمس جماليات النص المترجم.

انطلاقا من هذه الملاحظات التي ذكرتها كان هو دافعي للاشتغال النقدي على اعتبار أنه سيساعدني كثيرا لفهم شعرية النص الحديث، بالخصوص كانت أمامي تجارب شعرية حديثة من الأصدقاء، وكانت الحاجة ملحّة للتواصل معهم بعمق من خلال نصوصهم. لكنني رغم ذلك كنت حذرا إلى الانجرار وراء التنظير الأكاديمي النقدي الميكانيكي الجامد.

مرحلة ما بعد رؤية 2030 يمكن وصفها بالحدث المزلزل لأكثر الظواهر والسلوكيات التي عرفها المجتمع السعودي خلال تاريخه القريب

تجربة متفردة

في العصر الحديث عُرفت المدارس النقدية في الغرب، وقد استورد الكثير من النقاد العرب أساليبه من المدارس النقدية الغربية، فما الأسس التي وضعتها لإيجاد تجربة نقدية متفردة؟

ربما إجابة هذا السؤال هي استكمال للإجابة عن السؤال الأول، في واقع الأمر لم يكن اطلاعي كافيا على المدارس النقدية الغربية كي تكون لي تجربة نقدية متفردة، فأنا أظن أن مزاجية الشاعر تحكم تجربتي النقدية، وما أعنيه هو أنني لا أكبت انفعالاتي أمام أي نص جميل وأتفاعل معه ثم أكتب عنه، وهذا الأسلوب في تلقي النصوص الإبداعية لا يعرف طريقه للناقد المحترف، وهنا الفرق الذي أراه بين الاثنين. وبالطبع أنا أنتصر للشاعر الناقد وهو الأقدر في ظني لجهة فهم وتفسير وتطوير النص من الداخل، في حين أن الناقد المحترف هو الأقدر لجهة فهم النص وتفسيره من الخارج، بمعنى أن النصوص الشعرية تتطوّر وفق سياقات ثقافية أدبية اجتماعية ترتبط بصاحب التجربة في علاقته بالشعراء الآخرين بوصفه مؤثرا ومتأثرا، وهذا التطور هو الذي يقوم به الشاعر وعى ذلك أو لا.

لكن الشاعر الناقد في ظني يملك هذه الأدوات، ويملك اللغة المنطقية التي يستطيع من خلالها تفسير هذا التطور، وهذا هو ما أعنيه من الداخل. في حين أن الناقد المحترف، في جانب من اشتغالاته يقع في ظني في فخ الاندفاع وراء النظرية بحيث يرى النصوص كظواهر اجتماعية أو ثقافية – طبعا هناك النظريات الثقافية التي تهتم بهذه الرؤية – أو ينشغل باكتشاف حدود وآفاق النظرية دون اعتبار لما يطرحه النص من جماليات ترتبط بأسباب النص وليس بأسباب النظرية. وهناك جانب آخر عند الناقد المحترف وهو الجانب الذي أقدّره كثيرا وأحترم الجهد الذي يبذله، والذي يمكن تسميته روح المؤرّخ الذي يضع النصوص والتجارب في سياقها التاريخي، ومن ثم يفتح لنا أفقا آخر للفهم والتفسير، ولا أريد أن أضع أمثلة هنا حتى لا أطيل.

مشهد نقدي بعد إصدارك العديد من الكتب النقدية التي تطال المشهد الثقافي السعودي ما أكثر ما يميز هذا المشهد؟

ثمة فرق بين مرحلتين: ما قبل رؤية 2030 وما بعدها. المرحلة الأولى يمكن انسحابها على أكثر من ثلاثة عقود من الزمن، كان ينظر فيها للثقافة بوصفها إما اشتغالات في الأدب والذي يختزل بدوره في الشعر والقصة والرواية وشيء من المسرح البسيط، وكانت المؤسسات الرسمية تُأمّن هذا الدور وترعاه، وإما اشتغالات في الفكر والاجتماع والدين، وهي ذو توجهين: اشتغالات تقوم على جهود ذاتية من مثقفين ومفكرين يبرزون من خلال الندوات والمنابر الإعلامية والصحف أو أكاديميين يطرحون أفكارهم على تلاميذهم من خلال الدرس الأكاديمي، وفي كلا التوجهين لم تكن توجد بوادر تشي بتشكل تيارات فكرية مؤثرة، لذلك لا هذه ولا تلك كانت تملك سلطة موجّهة. طبعا هذا إذا لم نربط المشهد الثقافي بصلاته القوية بسياسات التعليم ومخرجاته التي أثرت من العمق على تصورات الفرد السعودي للثقافة والوطن والعالم والآخر.

أما مرحلة ما بعد رؤية 2030 فيمكن وصفها بالحدث المزلزل لأكثر الظواهر والسلوكيات التي عرفها المجتمع السعودي خلال تاريخه القريب. لقد أظهرت استراتيجية الرؤية مكامن القوة في المجتمع التي لم تكن مستثمرة سابقا: التراث العميق وثراء تنوعه، الفنون بجميع أشكاله الموروثة منه والمستحدثة، الأزياء، المسرح والموسيقى والطبخ والسينما.. إلخ، وأبرزت الأهم في تصوري وهو تكسير الصورة النمطية عن الإنسان السعودي، وأوجدت في الوقت نفسه صورة يُرى من خلالها الإنسان السعودي متفاعلا مع العالم، ومساهما في تطوّره قدر المستطاع.

محرّك الشعر

ما الذي يحرّكك لكتابة الشعر؟

الإرادة في التعبير عن موقف بأثر رجعي، والإرادة هنا لها أوجه عديدة، أهمها القلق والانخطاف (ليس بالمفهوم الصوفي) والتوقف عن الممارسة اليومية للحياة المعتادة. فأنا لست من الشعراء الذين يكتبون بسرعة البرق للتعبير عن حدث أو موقف أو تأمل لحظي وراهن. نحن جميعا معرّضون مثلما البشر جميعا للحزن والفرح والألم والوحدة والمأساة والفقد، وكل شاعر حسب استعداده النفسي والذهني وحسب موهبته وثقافته يكون القول الشعري مطابقا لهذا الاستعداد أو للموهبة. أنا من تلك الفئة من الشعراء الذين يعيشون الصدمة في تلقي هذه العوارض الحياتية، قد تطول هذه الصدمة زمنيا أو تقصر. لكنها بالنهاية تتحول إلى نص بعد أن تكون استقرت في الذاكرة، وتطبعت بآلياتها.

الناقد المحترف يقع في فخ الاندفاع وراء النظرية ويرى النصوص ظواهر اجتماعية أو ثقافية، أو ينشغل باكتشاف حدود وآفاق النظرية دون اعتبار لما يطرحه النص

قصيدة النثر

بدأت بالقصيدة العمودية وانتهيت بقصيدة النثر فما الذي حققته لك القصيدة النثرية؟

أميل إلى الحديث عن قصيدة النثر باعتبارها صندوقا مملوء بالذهب والألماس محكم الإغلاق وقع بين يدي، وكلما حاولت أن أفتح واحدا من أقفاله العديدة، يتعذر عليّ ذلك، تكرار المحاولة للوصول إلى هذا الكنز الثمين هو ما علمتني إياه قصيدة النثر، كون هذه القصيدة لا تملك سمات جاهزة كعلامات على الطريق ترشد السالك كي لا يضيع. قد يكون الكنز متوهما ولا يوجد سوى في الخيال. لكنه ابتكر لي طريقا للبحث والفضول المعرفي الأدبي، وأصبح الحافز القوي في محاولة فهم النص والإنسان والعالم.

عندما تكتب الشعر هل تسيطر على الناقد الذي بداخلك أم تتركه حرا؟

لا أعلم أين تنتهي حدود الشاعر من حدود الناقد في داخلي لحظة الكتابة، ولا أستطيع أن أرسم خطا بالقلم والمسطرة، ثم أقول هذه هي الحدود القائمة في ما بينهما. يمكن القول فقط حول هذه المسألة، إن تراكم التجربة في النظر والكتابة هو الذي يحدد من هو المسيطر، رغم عدم إيماني المطلق بهذه الحدود، فالأمر يتعلق بالنهاية بتراكم التجربة وشرط قدرتها على تجاوز نفسها. وعلى سبيل المقال، في بداياتي الشعرية، وبالتحديد مجموعتي الثانية "أخف من الريش، أعمق من الألم" كانت أجواء المجموعة في غالبيتها واقعة تحت الهاجس الفلسفي الموجّه نقديا والمأخوذ بتلابيب السرد، رغم بعض الملامح من الشعرية الخالصة في بعض النصوص. لكن مثل هذه الأجواء اختفت تماما في المجموعات اللاحقة، وأصبح الموجّه النقدي وحساسيته مدمجا لصالح الشعرية في الكتابة، والأمر يعود كما قلت لهذا التراكم في التجربة.

كيف يبدو تعاملك مع اللغة وهل تطوعها بسهولة، وأنت تحلق في فضاء الشعر؟

تعلمت أن كل لغة مثقلة بحمولاتها التاريخية، وكل كلمة داخلها لها تاريخ مثقل بالمعاني والتأويلات والتفاسير، فك الارتباط بهذه الحمولات ووضعها في سياقات مختلفة من الكتابة الشعرية هما اللذان جعلاني منذ بداياتي أنجذب إلى الكتابة الشعرية السوريالية. ومن هذا الباب كتبت نصوصا محاولا أن أضع الكلمات في أفق مختلف من معانيها. هذا الأمر أعطى سهولة كما قلتِ في تطويع اللغة. لكنه أدخلني في متاهة الغموض الناتجة عن النظر إلى اللغة الشعرية باعتبارها مهارة لغوية، وأيضا أدخلني في متاهة التفكير اللغوي والذاكرة الثقافية فقط.

لكن لاحقا استوعبت معنى أن تكون اللغة هي "بيت الوجود" كما قال هيدغر، وأن تكون اللغة هي السلطة التي نحقق من خلالها شرط وجودنا في الحياة، مهما كانت قوة هذه السلطة. لذلك حينما أكتب القصيدة يكون صراعي في استدعاء اللغة مرتبطا بهذا الفهم العميق للغة. يضاف إلى ذلك حين تستدعي اللغة إلى النص، فأنت تستدعي بالدرجة الأولى أسلوبك في التعامل مع الأشياء من حولك ومن ضمنها اللغة، ألم يقل رولان بارت "الأسلوب هو حياتك؟".

وجع القصيدة قلت في أحد الحوارات إن "الشعر وجع ذاتي" فكيف يكون وجعا وهو الذي يحرر المشاعر المؤلمة من مكامنها ويقودها إلى انتصار يتجلى بالقصيدة، فهل الشعر هو الوجع أم أن الوجع هو الدافع للكتابة الشعرية؟

كلاهما يعزز هذا الوجع، مع اختلاف في الدرجة. وهذا يعتمد أساسا على فهمنا وتأويلنا لكلمة "الوجع" ودائما ما تكون في فهمنا قريبة من سلالة عائلة الكلمات التي تعني الألم المعنوي.

صحيح أن الشعر في أحد وظائفه يحرّرنا من المكبوت النفسي والأحاسيس المتجذرة في الروح. لكنه من جانب آخر يعمّق الهشاشة في روح الشاعر، خصوصا إذا كان الشاعر هشا وضعيفا في بنيته النفسية والجسدية وهشا في بنائه العائلي، مما يؤدّي به إلى الشقاء والانتحار، وهناك شواهد عديدة من شعراء كبار عاشوا هذه الهشاشة وأدت بهم في نهاية المطاف الى الانتحار.

أيضا هناك نوع من الوجع يرتبط بولادة القصيدة مثلما ترتبط الأم بولادة طفلها. ألم ووجع حسيان يقابلهما ألم ووجع مجازيان في ولادة القصيدة. لكن بالنهاية يتحول هذا الوجع عندهما إلى فرح وجودي.

هل تعتقد أن انتشار قصيدة النثر جعل النثر في أفضل حالاته؟

ليس بإطلاق، هناك أدباء وشعراء كتبوا النثر وطوره بأساليبهم المتعدّدة من جبران خليل جبران إلى أورخان ميسر إلى نزار قباني وحسين مردان، عدا أدباء عصر النهضة المصريين. لكنهم لم يدعوا أنهم يكتبون القصيدة من خلال النثر. لكن النثر كان مزدهرا بجانب التطور الذي شهدته القصيدة العمودية والتفعيلية، وإن كان التطور يتصل بالمضامين على مستوى القصيدة العمودية، والفضاء الإيقاعي والدلالي بالنسبة للقصيدة التفعيلية. بينما لو توقفنا عند الشعراء –ولا أريد هنا الدخول في التسميات ما يهمني هنا الفكرة - الذين نظّروا لقصيدة النثر، كان الأثر الذي تركوه من خلال تنظيراتهم، على من جاء بعدهم من الشعراء الذين ركبوا موجة الكتابة النثرية لم يخدم كثيرا تطور القصيدة، لأسباب من أهمها انشغال الشاعر بتطبيق ما تم التنظير له، وهو ما حدّ كثيرا من مغامرة الشاعر في الكتابة والانطلاق بها إلى فضاء أرحب، رغم أن التنظير قائم بالأساس على الحرية في الكتابة والتخلص من كل قيد يحدّها. من جهة أخرى ليس معنى ذلك أن هذا الكلام ينطبق على تاريخ القصيدة النثرية منذ بروزها في الأدب العربي المعاصر. لكنها ظاهرة ملفتة للنظر تخص هذا الأدب تحديدا عن سائر الأدب العالمي.

هذه المؤشرات تجعلنا متفائلين أن يكون مشهدنا الثقافي لا يفتح آفاقا رحبة للمثقفين والأدباء والمفكرين على مستوى الوطن، بل حتى على مستوى العالم العربي أيضا

السيرة

أين وصلت في كتابة سيرتك الذاتية، وما الأفكار المسيطرة على هذه السيرة؟

أنهيت منها الجزء الأول، وهي في الحقيقة مجموعة من الثيمات وكل ثيمة تخص جزءا معينا منها، فهناك سيرة البحر في حياتي، فقد عشت بين مدينتين يفصل بينهما بحر الخليج العربي: الأحساء والمحرق في البحرين. وهناك ثيمة الأب، وثيمة المكان. ولا أظن أني مستعجل على نشرها في الوقت الحاضر.

بعين الناقد كيف تنظر إلى مستقبل الحراك الثقافي في السعودية؟

من خلال المؤشرات الحالية التي جميعها تدل على أن مشهدنا هو أشبه بخلية نحل لا تتوقف عن الفعاليات والأنشطة والمهرجانات والحوارات على مدار فصول السنة. ناهيك عن الدعم اللامحدود من مؤسسات الدولة في دفع المشهد كي يكون الأكثر فاعلية وتأثرا على مستوى العالم العربي، فهذه المؤشرات تجعلنا متفائلين أن يكون مشهدنا الثقافي لا يفتح آفاقا رحبة للمثقفين والأدباء والمفكرين على مستوى الوطن، بل حتى على مستوى العالم العربي.

نصوص

محمد الحرز

أسمال لا تتذكر دم الفريسة

ميلاد
دار ميلاد للنشر